الدرس ا11. الاندلس في عهد الموحدين.

لقد تمكن الموحدون من القضاء على دواة المرابطين في بلاد المغرب سنة 541هـ بمقتل ابي إسحاق إبراهيم بن تاشفين، وقد تأثرت بلاد الاندلس بهذا التحول، حيث انتشرت الثورات في العديد من المناطق وجهات الاندلس المختلفة ضد المرابطين، في وقت أصبحت الدولة المرابطية عاجزة عن حماية الأراضي الإسلامية في الاندلس، فأحس سكان الاندلس انهم فقدوا حرياتهم واستقلالهم في ظل حكم المرابطين.

ومن أبرز الثورات التي قام الاندلسيين ثورة قرطبة سنة 515هـ 1121م، إضافة الى ثورة الموردين بقيادة ابن قيسي ثم ثورة ابن حمدين أبو جعفر الذي تولى قضاء قرطبة سنة 539هـ، وثورة أبو الحسن على بن عمر بغرناطة، وقد تزعم هذه الثورات وغيرها في اغلب الحالات القضاة.[1]

وبعد أن ساءت الأوضاع في الاندلس بسبب هذه الثورات وتمنك النصارى من استرجاع العديد من المدن وبعد وصول أصداء عن قوة الدولة الموحدية وانتصاراتها في بلاد المغرب، سارع اهل الاندلس الى الاستنجاد بعبد المؤمن بن علي لإنقاذ ما بقي للمسلمين في الاندلس، حيث عبر شيوخ الاندلس الى الخليفة عبد المؤمن وبايعوه وكان من أبرزهم علي بن عيسى بن ميمون قائد الاسطول المرابطي وهو الذي خطب بقادس للخليفة عبد المؤمن سنة 540هـ 1145م وكانت اول خطبة للموحدين في الاندلس،[2] والشيئ نفسه فعله أبو الغمر عزون زعيم الثورة في شريش حيث اعلن الطاعة والولاء للخليفة الموحدي وهو محاصرا لمراكش، كما قدم أيضا ابن حمدين زعيم الثورة في قرطبة الطاعة والولاء لعبد المؤمن.

عبد المؤمن يعبر الى الأندلس. إن قدوم هذه الوفود شجع عبد المؤمن على الاهتمام أكثر بالأندلس، وإن اختلفت الروايات حول تاريخ دخول الموحدون الى الأندلس فإن الاجماع كان في تاريخ 539هـ/ 1144م عندما بعث عبد المؤمن جيشا الى الاندلس قوامه عشرة الاف فارس بقيادة الشيخ أبي عمران موسى بن سعيد

1 ـ عبد الله عنان، العصر الثالث القسم الأول، المرجع السابق، ص318.

2 ـ هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الاندلس، دار الفرقان 1984م عمان ص90.

والذي نزل الجزيرة الخضراء،[1] بينما يرى ابن خلدون ان دخول الموحدين الى الأندلس كان سنة 540هـ عندما وفد على عبد المؤمن بفاس وفد ابن قيسي لطلب النجدة، فبعث عبد المؤمن جيشا ومعه ابن قيسي، وهذا الجيش هو الذي فتح طريف والجزيرة الخضراء.[2]

ورغم الاختلاف حول تاريخ دخول الموحدين الى الأندلس فإنهم تمكنوا من فتح طريف والجزيرة الخضراء ومنها ساروا الى شريش ثم مدينة لبلة وشلب وباجة وبطليوس، ثم تقدموا الى اشبيلية وطردوا منها المرابطين، وكان ذلك سنة 541هـ/1147م وقدم أهلها الطاعة لعبد المؤمن، وغم أن حكام بعض الأقاليم تراجعوا عن البيعة الا ان الجيش الموحدي تمكن من القضاء على معظم هذه الثورات وفرض سيطرته على غرب الاندلس، وبعدها بدا العمل للسيطرة على وسط الاندلس خاصة قرطبة التي سيطر عليها يحيى بن غانية بمساعدة الفونسو السابع ملك قشتالة، بعد ان تنازل له ابن غانية عن الكثير من المدن الأندلسية، الا أن العلاقة بين الرجلين سرعان ما تدهورت حيث غادر ابن غانية قرطبة الى غرناطة وتوفي هناك سنة 543هـ /1149م.[3]

لقد تمكن الموحدون من السيطرة على قرطبة التي خرج منها القشتالين، ثم سيطروا على جيان ويابسة وبذلك تمت السيطرة على وسط الأندلس، وفي هذا الوقت كان ابن مردنيش قد سيطر على شرق الاندلس وبدأ يهدد الموحدين، هذه الظروف جعلت الموحدون يستعدون للمواجهة والعمل على ضم شرق الاندلس لملكهم، ثم عمل الموحدون على استرجاع غرناطة بعد ان سلمها واليها ميمون بن بدر الى عبد المؤمن سنة 551هـ/1156م،[4] وبعد غرناطة جاء دور المرية ورغم قوة جيش النصارى المد552هـ/1157م بعد حصار دام سبعة أشهر، وبعد هذا الانتصار عين عبد المؤمن ابنه أبا يعقوب يوسف عم من محمد بن سعيد بن مردنيش حليف ألفونسو السابع، الا ان المسلمين تمكنوا من دخول المدينة سنة552هـ/1157م بعد حصار دام سبعة أشهر، وبعد هذا الانتصار عين عبد المؤمن ابنه أبا يعقوب يوسف

---

1 ـ ابن أبي زرع، المصدر السابق ص122.

2 ـ ابن خلدون العبر ج6، المصدر السابق ص233.

3 ـ ابن الخطيب، الإحاطة ج1 ص 52

4 ـ ابن أبي زرع ، الروض، المصدر السابق ص 127.

لولاية اشبيلية، حيث وصل في تحقيق الفتوحات واسترجاع العديد من المدن والحصون.

بعد أن تنمكن عبد المؤمن من فرض سيطرته على الأندلس وضع نظاما للدفاع عن الاندلس فنقل العاصمة الى قرطبة بعد ما كانت اشبيلية أيام المرابطين، كما تمكن من توحيد معظم ما بقي من الاندلس تحت رايته باستثناء المناطق التي كانت تحت أولئك الذين خرجوا عن طاعته أمثال ابن غانية الذين أعلنوا الثورة في الجزائر الشرقية، وفي سنة 558هـ /1163م توفي عبد المؤمن بن علي بالمغرب الأقصى وقد بلغ من العمر 63 سنة وكانت ولايته ثلاث وثلاثون سنة وخمسة أشهر.[1]

بعد وفاة عبد المؤمن خلفه ابنه يوسف الذي كان قد تولى ولاية اشبيلية وبالتالي كانت له معرفة ببلاد الأندلس رقد تولى الحكم رغم أن عبد المؤمن كان قد عين ابن محمد وليا للعهد ولكنه تراجع عن ذلك أيام قبل وفاته،[2] وقد كان لأخيه ابي حفص دور في عقد البيعة لأخيه يوسف تنفيذا لوصية ابيه، ولم يتخلف عن البيعة الا بعض أشياخ الموحدين وثلاثة من الاخوة، وفي بداية عهد جهز جيشا الى الأندلس لمحاربة ابن مردنيش في عقر داره أندوجر حيث كان يهدد قرطبة، وبعد السيطرة على معقل ابن مردنيش سارع اهل الحصون القريبة منها الى تقديم الطاعة للموحدين، ورغم أم ابن مردنيش جمع قوات كبيرة لمواجهة الموحدين لا انه في الخير انهزم وفر الى مرسية. وكانت هذه الهزيمة بداية انهيار ابن مردنيش ونهاية ثورته.[3]

كما اهتم بعد ذلك بالقضاء الفتن التي ظهرت في بلاد المغرب خاصة فتنة غمارة بين قبائل صنهاجة الذين خرجوا عن طاعة الخليفة في المنطقة الممتدة من الريف الى البحر ومدينة سبتة بزعامة سبع بن منعفاد، وبعد

1 ـ ابن الخطيب، الاعلام ص 269.

2 ـ إن سبب تراجع عبد المؤمن عن تعيين ابنه نحمد لولاية العهد ترجع حسب بعض المؤرخين الى ان عبد المؤمن وصلته أنباء ان ابنه محمد كان يشرب الخمر ويبدوا مخمورا امام الاشياخ والقادة، كما كان يرتكب أمورا طائشة مخلة بالكرامة، كما قيل أيضا انه كان مصابا بالجذام وبالتالي فهو لا يصلح للخلافة. ينظر المراكشي المعجب، المصدر السابق ص131.

3 ـ عبد الله عنان ، دولة الاندلس عهد الموحدين، ص 17.

تجدد الحوادث في غرب الاندلس وسقوط بعض القواعد الإسلامية جهز الخلفة الموحدي جيشا قويا عبر به الى الأندلس من مدينة سبتة في شهر رمضان سنة 566هـ 1171م، فتوجه الى اشبيلية ومنها الى قرطبة ومنها وجه حملة الى أراضي قشتالة وأخرى الى مرسية لمواجة ابن مردنيش والقضاء عليه في شرق الاندلس، ثم عاد الى اشبيلية حيث اشرف على العديد من الانجازات المعمارية وفي سنة 571هـ/ 1176م عاد الخليفة الى مراكش.[1]

ورغم رجوع الخليفة الى المغرب واهتمامه بفتح افريقية الا أن هذا لم يمنع من توجيه العديد من الحملات الى بلاد الاندلس لمواجهة النصارى خاصة بعد الغرات العيدية لملك قشتالة الفونسو الثمن وملك ليون فرنالدو الثاني وملك البرتغال على الأراضي الإسلامية، وفي سنة 580هـ / 1184م نظم حركة جديدة للجهاد في الأندلس حيث عبر الى الجزيرة الخضراء ومنا الى اشبيلية ومنها قاد حملة الى شنترين لرد الهجمات البرتغالية الا ان الموحدين فشلوا في الاستلاء على المدينة، وقد أصيب الخليفة بجروح توفي على اثرها في طريقه الى بلاد المغرب.[2]

ولما توفي الخلفية يوسف بن عبد المؤمن بويع ابنه يعقوب بن يوسف دون معارضة من أي جهة وذلك لان اباه كان قد خصه بولاية العهد قبل وفاته باعتباره أكبر أبنائه، ومن اهم اعماله في الاندلس هو عقده للصلح مع ألفونسو الثامن الذي تولى حكم قشتالة وليون، الا أنه وبعد نهاية مدة الصلح عاد النصارى لمهاجمة أراضي المسلمين وخاصة مدينة شلب،[3] مما دفع بابي يوسف يعقوب الى العبور الى الأندلس سنة 586هـ/ 1191م بعد ان وجه حملة لمحاربة علي بن غانية في بلاد المغرب خاصة افريقية، وبعد عبوره الى الاندلس نزل بطريف ثم توجه الى اشبيلية حيث

سيطر على قلعة طرش ومنها الى مدينة شلب التي استرجعها المسلمون ثم عاد الخليفة الى المغرب، ومرة أخرى تجددت غارات النصارى على

---

1 ـ الناصري، المرجع السابق ج2 ص135.

2 ـ ابن ابي زرع الروض، ج3 ص206، ـ المراكشي المعجب، ص 148.

1 ـ مدينة بالأندلس قريبة من باجة، لها بسائط فسيحة لها جبل عظيم كثير المسارح، وبها غلات كثيرة خاصة أشجار التفاح وعليها سور حصين، ينظر الحميري، صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار، تح ليفي بروفنسال، دار الجبل بيروت، 1988م ص 106.

المسلمين في الاندلس مما شجع الخليفة المنصور على العبور للمرة الثانية، وكان ذلك سنة 591هـ/1195م، وفي هذا الوقت كان الفونسو الثامن قد استعان بالبابوية وملوك النصارى لمواجهة الموحدين، وفي التاسع من شعبان وقعت معركة الارك[1] التي انتهت بهزيمة النصارى، حيث قتل فيها الالاف من النصارى بينما تمكن ملك قشتالة من الفرار مع بعض الفرسان.[2] ومن ابرز نتائج هذه المعركة سيطرة المسلمين على العديد من الحصون والقلاع من أراضي قشتالة، وحصول المسلمين على الغنائم الكثيرة،كما قتل في هذه المعركة حوالي 146 الف من النصارى واسر حوالي 30ألف.

لقد بلغت دولة الموحدين ذروتها في عهد هذا الخليفة، حيث امتلكت جيشا قويا قادرا على مواجهة النصارى والمعارضين لحكمه، كما تميز المنصور برغبته الشديدة للجهاد، ومن جهة أخرى فقد كان ملكا حازما يعمل على إقامة العدل بين الرعية والتزامه بأحكام الشريعة، ورغم ذلك تبقى ثورة ابن غانية من اهم العقبات التي واجهت الخليفة، وتوفي المنصور سنة 595هـ/ 1196م وبوفاته ينتهي المع عهد من عهود الدولة الموحدية.[3]

وبعد وفاة المنصور خلفه ابنه محمد الذي تلقب بالناصر، حيث كان المنصور قد اختاره لولاية العهد، وفي عهد هذا السلطان انتهت ثورة بني غانية واستولى الخليفة على الجزائر الشرقية، ونظرا

لانشغال الخليفة بثورة بني غانية وقمع الفتن الداخلية استغل ألفونسو الثامن هذا الوضع وبدا في شن الغارات على بلاد المسلمين، لذلك رأى الخليفة الموحدي ضرورة محاربته والحد من هجماته، فقد عبر الى الأندلس سنة 607هـ /1211م واتجه نحو بلدة شليطرة(وهي حصن من حصون الاندلس قريبة من قلعة رباح وبالإسبانية تسمى Las navas de tolosa) واستولى عليها ومنها اتجه الى اشبيلية ثم جيان ثم عسكر بجيشه في

---

1 ـ محلة صغيرة من اعمال قلعة رباح تقوم فوق ربوة عالية تمتد سفوحها من وادي يانه، تقع غربي مدينة تيوداد ريال على بعد 11 كلم، والان تقوم مكانها قرية صغيرة تسمى، sta maria de alarcos ينظر ابن ابي زرع، الروض القرطاس ص223.

2 ـ المراكشي البيان ج 3 ص194.

1 ـ ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء الزمان، المصدر السابق، ص3.

سهل مليء بالتلال الصخرية تسمى العقاب، [1]وفي هذا الوقت جمع الفونسو الثامن جيشا من النصارى بعد ان استنجد بالبابوية وكان هدفه الانتقام لهزيمة الارك وطرد المسلمين من الأندلس،[2] وفي شهر صفر 609هـ/1212م بدأت المعركة الحاسمة بين المسلمين والنصارى والتي تمكن فيها النصارى من تحقيق انتصارا حاسما حيث قل الالاف من المسلمين، وقد كانت هذه الهزيمة بداية لضعف شامل أصاب المسلمين في الاندلس، فسقطت العديد من المدن بعد هذه الهزيمة كبياسة وأبدة واصبح النصارى يقتربون من قرطبة واشبيلية،[3] وبعد هذه الهزيمة توفي الناصر سنة 610هـ /1213م وخلفه ابنه المستنصر بالله وبدا الصراع بين أبناءه حول الوصول الى الحكم، مما أدى الى ضعف الدولة وشجع النصارى على السيطرة على قرطبة واشبيلية وجيان ومرسية والجزائر لقد ساهمت هزيمة العقاب في انهاء الوجود الإسلامي في الاندلس حيث لم يبقى للمسلمين الا مملكة غرناطة في الجنوب، ومن الأسباب التي ساهمت في الهزيمة هي ان جيش الناصر لم يكن متجانس لأنه كان مؤلفا من قبائل عديدة إضافة الى الظروف الاقتصادية والمالية خاصة مشكل تأخر العطاء للجند، كما يمكن ان نضيف ضعف القادة العسكريين في الجيش الموحدي.

لقد تصاعدت حدة الهجمات بعد العقاب فمملكة ارغون من الشرق وقشتالة من الشمال والبرتغال من الجنوب وقد عجز الموحدون عن رد تلك الهجمات، خاصة بعد اشتداد الثورات مثل ثورة محمد بن يوسف بن هود، مكا ظهر في هذه الظروف محمد بن يوسف بن نصر، وهكذا ظهرت موازين قوى جديدة في الاندلس وبلاد المغرب واشتد الصراع على خلافة عرش الموحدين بالأندلس وبلاد المغرب.

---

1 ـ ابن خلدون، العبر ج4 ص218.

2 ـ بوسف اشياخ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2 تر عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2011م، ص 121.

3 ـ الحميري، صفة الأندلس من الروض، ص 138.